

الأخلاق في القرآن فروع المسائل الأخلاقية

[401] بعض علماء أهل السنة إستدلّوا بهذه الآية الشريفة على حجّية الاجماع، ونحن لا نرى مانعاً من الاستدلال بهذه الآية على حجّية إجماع المسلمين، ولكنّ هذا الإجماع يجب أن يتضمنّ حضور الإمام المعصوم أيضاً، وفي الاصطلاح الأصولي يعبّر عنه بالإجماع الدخولي أو الإجماع الكشفي الذي يكون هو الحجّة في عملية الاستدلال. -- "الآية الثالثة" تستعرض أحد المواهب الإلهية الكبيرة على النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) وأنّ الله تعالى هو الذي جمع المؤمنين حول النبي وألف بين قلوبهم بحيث لا يتسنى ذلك أبداً من خلال الوسائل الطبيعية والأدوات العادية فتقول الآية: (هُوَ الَّذِي أَذْيَبَ دَكَّ بَنَدَصْرِهِ وَبَرَالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكَِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ عَزِيزٌ حَكِيمٌ). لو أنّ الإسلام يرى في العزلة والإنزواء عن المجتمع قيمة أخلاقية، فإنّ الله لم يكن يعدّ التآليف بين قلوب المسلمين بعنوان معجزة كبيرة للنبي الأكرم(صلى الله عليه وآله). وهذا التعبير في الآية الشريفة لا يدلّ على مطلوبة المعاشرة والاجتماع بين الأفراد فحسب، بل أن تكون الرابطة شديدة وإلى درجة كبيرة من الوثاقة في العلاقات الاجتماعية. وبديهي أنّ الله لا يصحّ أن تقرر الآية هذا المفهوم في زمان النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) فقط، بل إنّ هذا المفهوم الإسلامي يستوعب جميع الأزمنة والأمكنة وعلى كلّ طائفة مؤمنة أن تجتمع حول محور واحد وترتبط فيما بينها برابطة وثيقة من الألفة والمحبة كما كان حال المؤمنين في عصر النبوة والبعثة. والملفت للنظر أنّ الله تعالى نسب تأليف القلوب إليه مباشرة كما ورد هذا المضمون في الآية 103 من سورة آل عمران، رغم أنّنا نعلم أنّ النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) هو الذي قام بهذا العمل الإنساني والاجتماعي، وذلك لتشير الآية إلى أنّ هذا العمل إنّما هو معجزة إلهية جعلها الله تعالى في يد النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) وأظهرها على يده، وإلاّ فمن المحال أن تزول وتتلاشى كل تلك الأحقاد والعداوات القديمة والجديدة بين العرب المتعصّبين والجاهلين مهما بلغت